

أربعة أمور حفظها يحرز دين العبد

مستل من كتاب: الداء والدواء (٣٤٧ - ٣٧٦) ط.الفوائد

تأليف: ابن قيم الجوزية - رحمه الله -



للمزيد من الفصول النفيسة:

وأمر تعالى[3] نبيّه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغضّ أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يُعلِمَهم أنّه مشاهد لأعمالهم[4]، مطلع عليها[5]، ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩ ﴾ [غافر/ ١٩]. ولمّا كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمرَ بغضّه مقدمًا على حفظ الفرج، فإنّ الحوادث مبداها من النظر، كما أنّ معظم النار من مستصغَر الشرر[6]. فتكون نظرة، ثم خطرة، ثم خطوة، ثم خطيئة.

ولهذا قيل: **من حفظ هذه الأربعة أحرز دينَه** [٧٥/ب]: **اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات**. فينبغي للعبد أن يكون بوّاب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل

---

(١) «هذا» ساقط من س.
(٢) ف: «ولا على ضرّاء».
(٣) س: «الله تعالى».
(٤) س، ل: «شاهد أعمالهم».
(٥) ز: «يطلع عليها».
(٦) اقتباس من البيت الآتي بعد قليل.

عليه العدوّ، فيجوس خلال الديار، ويتبّر ما عَلا[1] تتبيرًا!

فصل

وأكثر ما تدخل[2] المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة، فنذكر في كل واحد منها فصلاً يليق به:

فأما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها[3]، وحفظها أصلُ حفظ الفرج. فمن أطلق بصره أورده موارد الهلَكات.

وقال النبي ﷺ: «لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ، فإنّما لك الأولى، وليست لك الآخِرة[4]»[5].

وفي المسند[6] عنه ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس،

---

(١) ز: «علوا». ف: «ويتبروا ما علوا».

(٢) س،ز: «يدخل».

(٣) س: «رائد الشهوة وقائدها».

(٤) ف: «الأخرى».

(٥) أخرجه أبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧) وأحمد ٣٥٢/٥، ٣٥٣ (٢٢٩٧٤، ٢٢٩٩١) وغيرهم من طريق شريك القاضي عن أبي ربيعة الإيادي عن ابن بريدة عن أبيه.
وراه شريك مرةً فقال: عن أبي ربيعة وأبي إسحاق عن عبدالله بن بُريدة عن أبيه فذكره. أخرجه أحمد ٣٥٧/٥ (٢٣٠٢١).
قلت: شريك ساء حفظه بعد توليه القضاء، وذِكْره أبا إسحاق وهم منه. وفيه أبو ربيعة الإيادي، واسمه عمر بن ربيعة. وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: «منكر الحديث». فالحديث ضعيف الإسناد.
وجاء من طريق آخر، ولا يثبت. انظر الصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٣٠٦/١).

(٦) كذا في بدائع الفوائد (٨١٧) أيضًا. وفي س: «السنن». وفي ف: «الحديث» =

فمن غضّ بصره عن محاسن امرأةٍ لله[1] أورث الله قلبه[2] حلاوةً إلى يوم يلقاه». هذا معنى الحديث.

وقال: «غُضّوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم»[3].

= (ص). لم أقف عليه في المسند. والحديث أخرجه الحاكم ٤/ ٣٤٩(٧٨٧٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩٢) من طريق إسحاق بن عبدالواحد القرشي عن هشيم عن عبدالرحمن بن إسحاق عن محارب بن دثار عن صلة بن زفر عن حذيفة مرفوعًا فذكره. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي بقوله: «إسحاق واهٍ، وعبدالرحمن هو الواسطي ضعّفوه».

ورواه عبدالرحمن بن إسحاق مرة فجعله من مسند ابن مسعود، ومرة جعله من مسند ابن عمر، ومرة من مسند علي بن أبي طالب. انظر معجم الطبراني (١٠/ ١٠٣٦٢) ومسند الشهاب (٢٩٣) وذم الهوى لابن الجوزي (١١٦).

والحديث مداره على عبدالرحمن بن إسحاق وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٦٣).

(١) «لله» لم يرد في س.

(٢) ف: «في قلبه».

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٢٣ (٢٢٧٥٧) وابن حبان (٢٧١) والحاكم ٤/ ٣٩٩(٨٠٦٦) وغيرهم من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبدالله عن عبادة بن الصامت رفعه: «اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة...». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». فتعقبه الذهبي بقوله: «فيه إرسال، وشاهده...» ثم ذكر حديث أنس.

قلت: المطلب لم يسمع من عبادة، فقد قال أبو حاتم: «لم يسمع من جابر». وجابر توفي سنة ٧٢هـ، وعبادة توفي سنة ٣٤هـ وقيل بعدها. بل قال البخاري والدارمي: لا نعرف للمطلب بن حنطب سماعًا من أحد من أصحاب النبي ﷺ.

والحديث أعلّه بالانقطاع المنذري والذهبي والهيثمي. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٨٤) والترغيب والترهيب (٣/ ٦٤) ومجمع الزوائد (٤/ ١٤٥).

وروي من حديث أنس، ولا يثبت.

وقال: «إيّاكم والجلوس على الطرقات». قالوا: يا رسول الله، مجالسُنا ما لنا منها بدٌّ. قال: «فإن كنتم لابدّ فاعلين، فأعطوا الطريق حقَّه». قالوا: وما حقّه؟ قال: «غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام»[1].

والنظر أصل عامّة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإنّ النظرة تولّد خطرةً، ثم تولّد الخطرة فكرةً، ثم تولّد الفكرة شهوةً، ثم تولّد الشهوة إرادةً، ثم تقوى فتصير عزيمةً جازمةً، فيقع الفعل، ولا بدّ، ما لم يمنع منه مانع.

وفي هذا[2] قيل: الصبر على غضّ البصر[3] أيسرُ من الصبر على ألم ما بعده[4].

قال[5] الشاعر:

كلُّ الحوادث مبداها من النظرِ ... ومعظمُ النار من مستصغَر الشررِ

كم نظرةٍ بلغت من قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتَرِ[6]

---

(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. أخرجه البخاري في المظالم، باب أفنية الدور... (٢٤٦٥)؛ ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢١).

(٢) ز: «ومن هذا».

(٣) ف، ز: «غض الطرف». وسقط «أيسر من الصبر» من ل.

(٤) «الصبر على غضّ... بعده» ساقط من س. ونقل المؤلف في عدة الصابرين (٤٠) خطبة للحجاج جاء فيها: «الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه». وانظر نحوه لزياد مولى ابن عياش في ذم الهوى (٦١).

(٥) ف: «وقد قال».

(٦) ل:

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر =

والعبد مادام ذا طَرْفٍ يقلّبه   في أعين العِين موقوفٌ على الخطرِ[1]

يسرّ مقلتَه ما ضرَّ مهجتَه   لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضررِ[2]

ومن آفات النظر: أنّه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد[3] ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه. وهذا من أعظم العذاب أن ترى مالا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة لك على بعضه[4].

قال الشاعر:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَك رائدًا   لقلبك يومًا أتعبتك المناظرُ

رأيتَ الذي لا كلُّه أنت قادرٌ   عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ[5]

وهذا البيت يحتاج إلى شرح. ومراده أنك ترى ما لا تصبر عن شيء منه، ولا تقدر على شيء منه. فإنّ قوله: «لا كلّه أنت قادر عليه» نفيٌ لقدرته على الكلّ، التي لا تنتفي إلا بنفي القدرة عن كلّ واحد.

= وكذا في بدائع الفوائد (١٢١٢). وفيه (٨١٧) وفي روضة المحبين (١٩٤): «فتكت في قلب صاحبها فتك السهام».

(١) ف: «أعين الغِيد»، وكذا في روضة المحبين. وفيه: «والمرء مادام ذا عين يقلّبها».

(٢) هذا البيت انفردت به ف. والأبيات الأربعة في روضة المحبين، والبيتان الأخيران منها في المدهش (٢٩٦).

(٣) ف: «فالعبد يرى».

(٤) ل: «لك عليه»، وأشير في حاشية س إلى هذه النسخة.

(٥) أوردهما المؤلف في بدائع الفوائد (٨١٧)، وروضة المحبين (١٩٤، ٣٤٣)، وإغاثة اللهفان (١٠٤). والبيتان في حماسة أبي تمام دون عزو. انظر شرح المرزوقي (١٢٣٨).

وكم ممن أرسل لحظاته، فما أقلعتْ إلا وهو يتشحّط بينهن[1] قتيلاً، كما قيل:

يا ناظرًا ما أقلعتْ لحظاتُه حتّى تشحّط بينهن قتيلُ[2]

ولي من أبيات[3]:

ملّ السلامةَ فاغتدت لحظاتُه وقفًا على طللٍ يُظَنّ جميلا[4]

ما زال يُتبِع إثرَه لحظاتِه حتى تشحّط بينهن قتيلا[5]

ومن العجب أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه حتى يتبوأ مكانًا من قلب الناظر[6]. ولي من قصيدة:

---

(١) ف: «بينهم»، خطأ. وانظر روضة المحبين (٢٠٤).

(٢) «بينهن» ساقط من س. ووقع فيما عدا ز: «قتيلاً» بالنصب. وهو خطأ، فإن البيت من مقطوعة مضمومة الروي لأبي نواس في ديوانه (٢٥٥). وانظر مصارع العشاق (٢/ ١١) وقد لهج المؤلف بقوله: «تشحط بينهن قتيل» فضمنه كلامه نثرًا ونظمًا، كما هنا، وفي المدارج (١/ ٣٦٩)، والروضة (٢٠٤). وانظر التعليق على البيتين الآتيين.

(٣) «ولي من أبيات» ساقط من ل.

(٤) ف: «يلوح جميلاً».

(٥) أنشد المؤلف في الروضة (٢٠٦) بيتين آخرين من «قول الناظم» ـ ولعله يعني نفسه ـ:

نظرُ العيون إلى العيون هو الذي جعل الهلاكَ إلى الفؤاد سبيلا

ما زالت اللحظات تغزو قلبه حتى تشحّط بينهن قتيلا

وأورد في الصواعق (٩٨٠) ٢٥بيتًا ـ يرجح أنها من شعره ـ على الرويّ نفسه ليس منها البيتان المذكوران هنا، إلاّ أن البيت الثاني من بيتي الروضة يوجد ضمنها، وقد وضع فيه «الشبهات» مكان «اللحظات».

(٦) «ومن العجب. . . الناظر» ساقط من ف.

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا   أنتَ القتيلُ بما تَرمي فلا تُصِبِ
وباعثَ الطرْفِ يرتاد الشفاءَ له   احبِسْ رسولك لا يأتيك بالعطب[1]

وأعجب من ذلك أنّ النظرة تجرح القلبَ، فيُتبِعُها جرحًا على جرح، ثم لا يمنعه ألمُ الجراحة من استدعاء تكرارها. ولي أيضًا في هذا المعنى:

مازلتَ تُتبِعُ نظرةً في نظرةٍ   في إثر كلِّ مليحةٍ ومليحِ
وتظنّ ذاك دواءَ جرحك وَهْو في التـ   ـحقيق تجريحٌ على تجريحِ
فذبحتَ طرفَك باللِّحاظِ وبالبكا   فالقلبُ منك ذبيحٌ ايُّ ذبيحِ[2]

وقد قيل: حبسُ اللحَظاتِ أيسرُ من دوام الحسَرات[3].

فصل

وأما الخطرات فشأنها أصعب، فإنّها مبدأ الخير والشرّ، ومنها تتولّد الإرادات والهمم والعزائم. فمن راعى خطراتِه ملَكَ زمامَ نفسه، وقهر هواه. ومن غلبته خطراتُه فهواه ونفسه له أغلَب، ومن استهان بالخطرات [٧٦/ب] قادته قسرًا إلى الهلكات.

ولا تزال الخطرات تتردّد على القلب حتى تصير مُنًى باطلة:

(١) س: «احبس بريدك». والبيتان في الروضة (١٩٥) وفيه: «توقّه إنّه يأتيك»، وضمن أبيات في البدائع (٨١٨)، وفيه: «توقّه إنّه يرتدّ».
(٢) س: «وذبحت» وفي حاشيتها أشير إلى هذه النسخة. وفيها أيضًا: «ذبيح ابن ذبيح». وفي ل: «مثل ذبيح بن ذبيح» وكلاهما تحريف.
(٣) وسيأتي الكلام على فوائد غضّ البصر في ص (٤١٦).

﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور/ ٣٩].

وأخسُّ الناس همّةً وأوضعهم نفسًا من رضي من الحقائق بالأماني الكاذبة، واستجلبها[1] لنفسه، وتحلّى بها، وهي ـ لعمر الله ـ رؤوس أموال المفلسين، ومتاجر البطّالين. وهي قوت النفس[2] الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزَورة الخيال، ومن الحقائق بكواذب الآمال، كما قال الشاعر:

مُنًى إنْ تكن حقًّا تكن أحسن المُنَى   وإلا فقد عِشْنا بها زمنًا رَغْدَا[3]

وهي أضرُّ شيء على الإنسان، وتتولّد من العجز والكسل، وتولّد التفريط والحسرة والندم. والمتمنّي[4] لمّا فاته مباشرةُ الحقيقة بحسّه نحَتَ[5] صورتَها في قلبه، وعانقها، وضمّها إليه، فقنع بوصال صورةٍ وهميةٍ خياليّة[6] صوّرها فكرُه، وذلك لا يُجدي عليه شيئًا، وإنما مثله مثل الجائع والظمآن يصوّر في وهمه صورةَ الطعام والشراب، وهو يأكل ويشرب.

---

(١) ف: «واستحلاها». ل: «واستحلها».
(٢) ف: «قوت النفوس».
(٣) لرجل من بني الحارث. شرح الحماسة للمرزوقي (١٤١٣). وهو محرف في س.
(٤) ما عدا ف: «التمني».
(٥) س،ل: «بجسمه تحت». و«تحت» تصحيف. وهي غير منقوطة في ز.
(٦) ل،ز: «خالية»، تحريف.

والسكون إلى ذلك واستحلاؤه[1] يدلّ على خساسة النفس ووضاعتها، وإنّما شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوّها بأن ينفي عنها كلَّ خطرة لا حقيقة لها، ولا يرضى أن يخطرها بباله، ويأنف لنفسه منها.

ثمّ الخطراتُ بعدُ أقسامٌ تدور على أربعة أصول:

خطرات يستجلِب بها منافعَ دنياه.

وخطرات يستدفع بها مضارَّ دنياه.

وخطرات يستجلب بها مصالح[2] آخرته.

وخطرات يستدفع بها مضارّ آخرته.

فَلْيحصر[3] خطراته وأفكاره وهمومه في هذه الأقسام الأربعة. فإذا انحصرت له فيها[4]، فما أمكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره. وإذا تزاحمت عليه الخطرات لِتزاحُمِ متعلّقاتها قدّم الأهمَّ الذي يخشى فوته وأخّر الذي [٧٧/أ] ليس بأهمَّ ولا يخاف[5] فوته.

بقي قسمان آخران: أحدهما مهمّ لا يفوت. والثاني غير مهمّ، ولكنه يفوت. ففي كلّ منهما ما يدعو إلى تقديمه، فهنا يقع التردد والحيرة. فإن قدّم المهمَّ خشي فواتَ ما دونه، وإن قدّم ما دونه فاته

(١) ماعدا ف: «استجلابه».
(٢) س: «منافع»، وفي حاشيتها: «خ مصالح».
(٣) ف: «فليخطر». س، ل: «فليحضر».
(٤) س: «انحضرت له منها».
(٥) س: «ولا يخشى»، وفي حاشيتها: «خ لا يخاف».

الاشتغال به عن المهم.

وكذلك[1] يعرض له أمران لا يمكن الجمع بينهما، ولا يحصل[2] أحدهما إلا بتفويت الآخر، فهذا موضع استعمال العقل[3] والفقه والمعرفة. ومن هاهنا ارتفع من ارتفع، وأنجح من أنجح، وخاب من خاب. فأكثرُ من ترى ممن يعظِّم عقلَه ومعرفتَه يُؤْثِر غيرَ المهمِّ الذي لا يفوت على المهمِّ الذي يفوت. ولا تجد أحدًا يسلَم من ذلك، ولكن مستقِلّ ومستكثِر.

والتحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي عليها مدار الشرع والقدر، وإليها مرجع[4] الخلق والأمر، وهي إيثارُ أكبر المصلحتين وأعلاهما، وإن فاتت المصلحة التي هي دونها؛ والدخولُ في أدنى المفسدتين لدفع ما هو أكبر منها، فيفوّت مصلحةً لتحصيل[5] ما هو أكبر منها، ويرتكب مفسدةً لدفع ما هو أعظم منها. فخطرات العاقل وفكَره لا تتجاوز[6] ذلك. وبذلك جاءت الشرائع، ومصالح الدنيا والآخرة لا تقوم[7] إلا على ذلك.

وأعلى الفِكَر وأجلّها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة. فما كان لله

---

(١) س، ز: «ولذلك».
(٢) ف: «ولا يتحصّل».
(٣) س، ل: «اشتغال العقل».
(٤) ماعدا ف: «يرجع».
(٥) ماعدا س: «ليحصل».
(٦) ف: «لا تجاوز». ل: «وفكرته لا تتجاوز». ز: «لا يتجاوز».
(٧) ف: «ولا تقوم»، ولعله خطأ.

أنواع:

أحدها: الفكرة في آياته المنزلة، وتعقّلها[1] وفهم مراده منها. ولذلك أنزلها الله تعالى، لا لمجرّد تلاوتها، بل التلاوة وسيلة. قال بعض السلف: أُنزِل القرآنُ لِيُعمَل به، فاتخذوا تلاوته عملاً[2].

الثاني: الفكرة في آياته المشهودة، والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه وصفاته، وحكمته وإحسانه، وبرّه وجوده. وقد حضّ الله سبحانه عباده على التفكر[3] في آياته وتدبّرها وتعقّلها، وذمّ الغافل عن ذلك.

الثالث: الفكرة في آلائه، وإحسانه، وإنعامه على خلقه بأصناف النعم، وسعة رحمته ومغفرته وحلمه.

[٧٧/ب] وهذه الأنواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفةَ الله، ومحبّتَه، وخوفَه، ورجاءَه. ودوامُ الفكرة في ذلك مع الذكر يصبغ القلب في المعرفة والمحبة صبغة[4].

الرابع: الفكرة[5] في عيوب النفس وآفاتها وفي عيوب العمل. وهذه الفكرة عظيمة النفع، وهي بابٌ لكلّ خير، وتأثيرها في كسر النفس الأمّارة. ومتى كُسِرَتْ عاشت النفس المطمئنّة، وانتعشت، وصار

---

(١) ف، ل: «وتعلقها»، وكذلك فيما يأتي، وهو تحريف.

(٢) من كلام الحسن البصري. مدارج السالكين (١/ ٤٥١)، مفتاح دار السعادة (١/ ٥٥٥)، ربيع الأبرار (٣/ ٢٢٣). وفيه (٢/ ٨٨) من كلام ابن مسعود.

(٣) ف: «على الفكر»، وسقط منها «عباده».

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي ط: «صبغة تامة».

(٥) «والمحبة... الفكرة» ساقط من ل.

الحكم لها؛ فحيِيَ القلب ودارت كلمته في مملكته، وبثّ أمراءه وجنوده في مصالحه.

الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهمّ كلّه عليه. فالعارف ابن وقته[1]، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلُّها. فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيّعه لم يستدركه أبدًا.

قال الشافعي: رضي الله عنه[2]: صحبتُ الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين: أحدهما قولهم: الوقت سيف، فإنْ قطعته، وإلاّ قطعك[3]. وذكر الكلمة الأخرى[4].

فوقت الإنسان هو[5] عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضّنْك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع

---

(١) في حاشية س أنّ في نسخة زيادة: «ويومه». وفي ز: «لزم وقته»، ولعله تغيير من ناسخ لم يعجبه هذا التعبير. وانظر في قولهم: «العارف ابن وقته» وتفسيره: مدارج السالكين (٣/ ٣٤١) وانظر أيضًا: (٣/ ١٢٨ ـ ١٣١)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٣٠٥).

(٢) هذا في ل. وفي س: «رحمه الله تعالى ورضي عنه». ولم يرد شيء في ف،ز.

(٣) ف: «فإن لم تقطعه وإلاّ قطعك». وكذا وقع في المدارج (٣/ ٤٩). وفي المدارج (٣/ ١٢٩) كما هنا.

(٤) وهي كما ذكرها المصنف في المدارج (٣/ ١٢٩): «ونفسك إن لم تشغلها بالحقّ وإلاّ شغلتك بالباطل». وموقع «وإلاّ» في هذا التركيب خطأ تكرر في كتب المصنّف، والصواب حذفها. وقد زاد بعض ناشري كتابنا هذه الجملة هنا بعد إصلاحها: «ونفسك إن شغلتها بالحق وإلا شغلتك بالباطل». انظر: ط عبدالظاهر (٢٠٩) وط فايد (١٣٣) وغيرهما. (ص). انظر قول الشافعي في مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٢٠٨). (ز).

(٥) لم يرد «هو» في ف.

من مرّ السحاب. فما كان من وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره. وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم. فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو[١] والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته. وإذا كان العبد، وهو في الصلاة، ليس له[٢] إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله وله[٣].

وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر، فإمّا وساوس شيطانية[٤]، وإمّا أماني باطلة وخدع كاذبة[٥]، بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والممسوسين[٦] والموسوسين.

ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق[٧]:

إن كان منزلتي في الحشر عندكمُ ما قد لقيتُ فقد ضيّعتُ أيامي[٨]

---

(١) «والسهو» لم يرد في ف، فزاده بعضهم.
(٢) ل: «له من صلاته».
(٣) «وله» ساقط من ف.
(٤) ل: «وساوس من شيطانه».
(٥) ل: «وإما خدع كاذبة».
(٦) ف: «السكارى المحشوشين». وكذا وردت الكلمة في النسخ بالحاء والشين. ولعل الصواب ما أثبتنا. والممسوس: الذي به مسّ، وهو الجنون. قال رؤبة:
قد علم العالمُ والقِسّيسُ أنّ امرأً حاربكم ممسوسُ
انظر طبقات فحول الشعراء (٧٦٤). ولو أراد من الحشيش لقال: «الحشاشين».
(٧) ف: «عند انكشاف الحقائق يقول».
(٨) الرواية: «في الحب» بدلاً من «في الحشر»، وهذه إن لم تكن تغييرًا مقصودًا فهي من تحريف النسّاخ. وفي ف مكانها: «ياقوم». وقد ورد البيت في روضة =

أمنيّةٌ ظفرتْ نفسي بها زمنًا [١/٧٨] واليوم أحسَبها أضغاثَ أحلامِ[١]

واعلم أنّ ورود الخاطر لا يضرّ، وإنّما يضرّ استدعاؤه ومحادثته. فالخاطر كالمارّ على الطريق، فإنْ لم تستدعِه وتركتَه مرّ وانصرف عنك[٢]، وإن استدعيتَه سَحَرك بحديثه وخَدْعه وغروره. وهو أخفّ شيء على النفس الفارغة الباطلة، وأثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة.

وقد ركّب الله سبحانه في الإنسان نفسًا أمّارةً ونفسًا مطمئنّة، وهما متعاديتان، فكلُّ ما[٣] خفّ على هذه ثَقُل على هذه، وكلّ ما التذّت به هذه تألّمت به الأخرى. فليس على النفس الأمّارة أشقُّ من العملِ لله، وإيثارِ رضاه على هواها؛ وليس لها أنفعُ منه. وليس على النفس المطمئنّة أشقُّ من العمل لغير الله، وإجابةِ[٤] داعي الهوى؛ وليس عليها أضرُّ[٥] منه. والملَك مع هذه عن يَمنةِ القلب، والشيطان مع تلك عن يَسْرةِ القلب. والحروب مستمرة لا تضع أوزارها إلى أن تستوفي أجلَها من الدنيا. والباطل كلّه يتحيّز مع الشيطان والأمّارة، والحقّ كلّه يتحيّز مع الملَك والمطمئنّة. والحروب دُوَل وسِجال، والنصر مع الصبر. ومن

= المحبين (٤٠٤) وفي مطبوعته: «في الحب».
(١) ف: «ظفرت قلبي»، وهو خطأ. والبيتان لابن الفارض في ديوانه (٢٠٧) وفيه: «ظفرت روحي» وفي البيت الأول: «ماقد رأيت».
(٢) «عنك» لم يرد في س.
(٣) ز: «وكلما».
(٤) س: «وما اجابه». ف: «وماجابه».
(٥) ف: «شيء أضرّ».

صَبَر، وصابرَ، ورابَطَ، واتّقى الله، فله[1] العاقبة في الدنيا والآخرة[2]. وقد حكم الله حكمًا لا يبدّل أبدًا أنّ العاقبة للتقوى، والعاقبة للمتقين[3].

فالقلب لوح فارغ، والخواطر نقوش تُنْقَش فيه، فكيف يليق بالعاقل أن تكون نقوش لوحه ما بين كذب، وغرور، وخدع، وأماني باطلة، وسراب لا حقيقة له؟ فأيّ حكمة وعلم وهدًى ينتقش مع[4] هذه النقوش؟ وإذا أراد أن ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في محلٍّ مشغول بكتابة ما لا منفعة فيه. فإنْ لم يُفرِّغ القلبَ من الخواطر الرديّة لم يستقرّ فيه الخواطر النافعة، فإنّها لا تستقرّ إلا في محل فارغ، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكّنا[5]

[٧٨/ب] ولهذا كثير من أرباب السلوك بنَوا سلوكهم[6] على حفظ الخواطر، وأن لا يمكّنوا خاطرًا يدخل قلوبهم، حتّى تصير القلوب فارغةً قابلةً للكشف وظهور حقائق العُلويّات[7] فيها.

وهؤلاء حفظوا شيئًا، وغابت عنهم أشياء، فإنّهم أخلَوا القلوب من

---

(١) ف: «فإنّ له».
(٢) يشير إلى الآية الكريمة (٢٠٠) من سورة آل عمران.
(٣) كما جاء في سورة الأعراف (١٢٨)، وهود (٤٩)، وطه (١٣٢) وغيرها.
(٤) س: «من».
(٥) بيت سائر نسبه المؤلف في روضة المحبين (٢٤٠) إلى قيس بن الملوّح وهو مجنون ليلى، وينسب إلى غيره. انظر ديوان المجنون (٢١٩).
(٦) ز: «يتراسلوا لهم». وفي ل: «الشكوك بنوا شكوكهم». وكلاهما تحريف.
(٧) ف: «المعلومات». وفي حاشية س إشارة إلى هذه النسخة. وهي تحريف.

أن يطرقها خاطر، فبقيت فارغة لا شيء فيها، فصادفها الشيطان خاليةً، فبذر فيها الباطلَ في قوالب أوهمهم[1] أنّها أعلى الأشياء وأشرفها، وعوّضهم بها عن الخواطر التي هي مادّة العلم والهدى. وإذا خلا القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحلَّ خاليًا، فشغله بما يناسب حال صاحبه، حيث لم يستطع أن يشغله بالخواطر السفلية، فشغله بإرادة التجريد والفراغ[2] من الإرادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح إلا بأن تكون هي المستولية على قلبه. وهي: إرادةُ مراد الله الديني[3] الأمري الذي يحبّه ويرضاه، وشَغلُ القلب[4] واهتمامه بمعرفته على التفصيل به، والقيام بِه وتنفيذِه في الخلق، والطُّرُقِ إلى ذلك، والتوصّلِ إليه بالدخول في الخلق[5] لتنفيذه. فبَرْطَلَهم[6] الشيطانُ عن ذلك بأنْ دعاهم إلى تركه وتعطيله، من باب الزهد في خواطر الدنيا وأسبابها، وأوهمهم أنّ كمالهم في ذلك التجريد والفراغ. وهيهات[7]!

إنّما الكمال في امتلاء القلب والسرّ من الخواطر والإرادات والفِكَر في تحصيل مراضي الربّ تعالى من العبد ومن الناس، والفكر في طرُق ذلك والتوصّل إليه. فأكمل الناس أكثرهم خواطر وفِكَرًا وإرادات لذلك، كما أنّ أنقصَ الناس أكثرُهم خواطر وفِكَرًا وإراداتٍ لحظوظه وهواه أين

---

(١) س: «أوهمها». وفي الحاشية إشارة إلى مافي غيرها.

(٢) من هنا إلى «التجريد والفراغ» الآتي سقط من س لانتقال النظر.

(٣) «الديني» ساقط من ل.

(٤) ل: «ويشغل القلب».

(٥) «في الخلق» ساقط من ل.

(٦) من برطله: رشاه. انظر أساس البلاغة (برطل).

(٧) وانظر طريق الهجرتين (٣٨٠).

كانت. والله المستعان.

وهذا عمر بن الخطاب كانت تتزاحم عليه الخواطر في مراضي الربّ تعالى، فربّما استعملها في صلاته، فكان يجهِّز[1] جيشَه وهو في صلاته[2]، فيكون قد جمع بين الجهاد والصلاة.

وهذا من باب تداخل العبادات في العبادة الواحدة. وهو باب عزيز شريف لا يعرفه[3] إلا صادق الطلب، متضلّع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادةٍ يظفر فيها بعبادات شتى[4]. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فصل

وأما اللفظات، فحفظها بأن لا يُخرِجَ لفظةً ضائعةً، بل لا يتكلّم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه. فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإنْ لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل يفوته بها كلمة هي أربح منها، فلا يضيّعها بهذه.

وإذا أردت أن [٧٩/أ] تستدلّ على ما في القلب، فاستدِلَّ عليه[5]

---

(١) س: «وكان تجهيز».

(٢) ف: «عسكره وهو في الصلاة». وقد أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب العمل في الصلاة، باب تفكر الرجل الشيء في الصلاة (ص٢٣٩). (ص). ووصله ابن أبي شيبة في المصنّف ٢/١٨٨ (٧٩٥١). وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٩٠).

(٣) ف: «لا يدخل منه».

(٤) وانظر زاد المعاد (١/ ٢٥٠).

(٥) «عليه» ساقط من س.

بحركة اللسان، فإنّه يُطلِعُ ما في القلب[1]، شاء صاحبه أم أبى.

قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها. فانظر الرجل[2] حين يتكلّم، فإنّ لسانه يغترف[3] لك مما في قلبه[4]: حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك. ويبين لك طعم قلبه اغترافُ لسانه[5].

أي كما تطعم بلسانك طعمَ ما في القدر من الطعام، فتدرك العلم بحقيقته؛ كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه[6] من لسانه، كما تذوق ما في القدر بلسانك.

وفي حديث أنس المرفوع: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه[7] حتى يستقيم لسانه»[8].

---

(١) ل: «على ما القلب»، فسقط منها «في».

(٢) ف: «فإن الرجل».

(٣) ف: «يغرف».

(٤) ل،ز: «بما في قلبه».

(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٦٧).

(٦) ف: «في القلب».

(٧) «ولا يستقيم قلبه» ساقط من س.

(٨) أخرجه أحمد ٣/ ١٩٨(١٣٠٤٨) وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان (٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٨٧) وغيرهم من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس فذكره، وفيه زيادة. وهو حديث منكر، تفرد به علي بن مسعدة عن قتادة، وعلي ضعيف. والحديث ضعفه الهيثمي والعراقي. انظر مجمع الزوائد (١/ ٥٣). وروي من وجه آخر عن أنس ولا يصح.

وثبت هذا عن ابن مسعود موقوفًا. أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٩٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦٥) وغيرهما عن زبيد عن مرة الطيب عن ابن =

وسئل ﷺ عن أكثر ما يُدخِلُ الناسَ النارَ، فقال: «الفم والفرج»[1]. قال الترمذي حديث صحيح[2].

وقد سأل معاذ النبيَّ ﷺ عن العمل الذي يُدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه، وعموده، وذروة سنامه؛ ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك؟» قال: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسان نفسه[3]، ثم قال: «كُفَّ عليك هذا». فقال: وإنّا لمؤاخَذون بما نتكلّم به؟ فقال: «ثكلتك أمّك يا معاذ! وهل يَكُبّ الناسَ في النار[4] على وجوههم ـ أو على مناخرهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم؟»[5] قال الترمذي: حديث

= مسعود مطولاً. وسنده صحيح. وقد روي مرفوعًا ولا يثبت. انظر علل الدارقطني (٥/ ٢٧١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (٤) وابن حبان (٤٧٦) والحاكم ٤/ ٣٦٠(٧٩١٩) وغيرهم من طريق عبدالله بن إدريس عن أبيه وعمّه عن جدّه يزيد الأودي عن أبي هريرة فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب». وصححه ابن حبان والحاكم.

(٢) كذا في الأصول وخا. وفي خب وط المدني وعبد الظاهر وغيرهما: «حسن صحيح». وفي نسخة الجامع المطبوعة مع تحفة الأحوذي: «صحيح غريب».

(٣) س: «بلسانه»، وفي حاشيتها إشارة إلى ما أثبتناه من غيرها.

(٤) «في النار» لم يرد في ف.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد ٥/ ٢٣١ (٢٢٠١٦) وغيرهم من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ فذكره مطولاً.

قلت: تعقّب الحافظ ابن رجب الحنبلي تصحيح الترمذي فقال: «وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين: أحدهما أنه لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ، وإن كان قد أدركه بالسن. وكان معاذ بالشام وأبو وائل بالكوفة... والثاني أنه قد =

صحيح[1].

ومن العجب أنّ الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرّم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجلَ[2] يشار إليه بالدين والزهد والعبادة[3]، وهو يتكلّم بالكلمات من سخط الله، لا يُلقي لها بالاً، يزِلّ[4] بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب[5]! وكم ترى من رجل متورِّع عن الفواحش والظلم، ولسانه

= رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ. خرّجه الإمام أحمد [٥/ ٢٤٨(٢٢١٣٣) وغيره] مختصرًا. قال الدارقطني: وهو أشبه بالصواب، لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه.

قلت (أي ابن رجب): ورواية شهر عن معاذ مرسلة يقينًا. وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه. وقد خرجه الإمام أحمد [٥/ ٢٤٥(٢٢١٢٢)] من رواية شهر عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ. وخرجه الإمام أحمد أيضًا [٥/ ٢٣٣، ٢٣٧ (٢٢٠٣٢، ٢٢٠٦٨)] من رواية عروة بن النزّال وميمون بن أبي شبيب كلاهما عن معاذ. ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ. وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة» جامع العلوم والحكم (٢/ ١٣٥). وانظر علل الدارقطني (٦/ ٧٣ ـ ٧٩).

وقال العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٨٠). ـ لما ضعف حديث أنس عن معاذ هذا ـ قال: «وفي هذا الباب عن معاذ وغيره أحاديث ثابتة من غير هذا الوجه». وانظر ابن حبان (٢١٤).

(١) كذا في الأصول وخا. وفي خب وط المدني وغيرها وفي نسخة الجامع المطبوعة مع التحفة: «حسن صحيح».

(٢) ل: «ترى الذي». ز: «يرى الرجل».

(٣) ز: «العبادة والزهد».

(٤) «يزلّ» ساقط من ل.

(٥) يشير إلى حديث أبي هريرة الآتي. وقد سبق أيضًا في ص (٢٠٦).

يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول!

وإذا أردت أن تعرف ذلك، فانظر إلى ما رواه مسلم في صحيحه[(١)] من حديث جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله [٧٩/ب] ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر اللَّهُ لفلان. فقال الله عز وجل: مَن ذا الذي يتألّى عليّ أنّي لا أغفر لفلان؟ قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملَك».

فهذا العابد[(٢)] الذي قد عَبَدَ اللَّهَ ما شاء أن يعبده، أحبطت هذه الكلمةُ الواحدة عملَه كلّه!

وفي حديث أبي هريرة نحو ذلك، ثم قال أبو هريرة: «تكلم بكلمةٍ أوبقَتْ دنياه وآخرته»[(٣)].

وفي الصحيحين[(٤)] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إنّ العبد

---

(١) كتاب البرّ والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله (٢٦٢١).

(٢) ذكر العابد في حديث أبي هريرة الآتي، لا في حديث جندب السابق.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠١) وأحمد ٢/ ٣٢٣، ٣٦٣(٨٢٩٢،٨٧٤٩) وابن حبان (٥٧١٢) وغيرهم من طريق عكرمة بن عمار عن ضمضم بن جوس عن أبي هريرة فذكر مطولاً.

وفيه عكرمة بن عمار، في حفظه كلام. وقد اختلف عنه الرواة في الجملة الأخيرة. فرواه من قول أبي هريرة: عبدالله بن المبارك في الزهد (٩٠٠)، وأبو الوليد الطيالسي عند ابن حبان، وأبو عامر العقدي وعبدالصمد عند أحمد، وعلي بن ثابت عند أبي داود.

ورواها مرفوعة: موسى بن مسعود عند المزي في تهذيب الكمال (٣٢٦/١٣) وغسان بن عبيد عند ابن أبي الدنيا في حسن الظن (٤٥).

والصواب: الموقوف.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٨) من طريق أبي صالح =

ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها[1] درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها[2] في جهنم».

وعند مسلم[3]: «إنّ العبد لَيتكلّم بالكلمة، ما يتبيّن ما فيها، يهوي بها في النار أبعدَ ما بين[4] المشرق والمغرب».

وعند الترمذي[5] من حديث بلال بن الحارث المزني[6] عن النبي ﷺ[7]:

= عن أبي هريرة ولم يخرجه مسلم من هذا الطريق.

(١) «بها» ساقط من ز.

(٢) ز: «يلقى بها».

(٣) برقم (٢٩٨٨)، وأيضًا عند البخاري (٦٤٧٧) من طريق عيسى بن طلحة عن أبي هريرة.

(٤) ماعدا ف: «يزل بها. . . مما بين».

(٥) برقم (٢٣١٩). وأخرجه ابن ماجه (٣٩٦٩) وأحمد ٣/٤٦٩(١٥٨٥٢) والبخاري في تاريخه (٢/١٠٦ ـ ١٠٧) وابن حبان (٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٧) والحاكم ١/١٠٦ ـ ١٠٧(١٣٦ ـ ١٤٠) وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جدّه علقمة عن بلال بن الحارث المزني فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح». وصححه ابن حبان.

وقد رواه الإمام مالك وغيره عن محمد بن عمرو بن علقمة به، ولم يذكر «عن جدّه».

ورجح البخاري الأول رواية الجماعة فقال: «والأول أصح». وإليه مال الترمذي والدارقطني وابن عبدالبر. راجع تحقيق المسند (٢٥/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٦) «المزني» ساقط من ز.

(٧) ل: «الترمذي عن النبي ﷺ من حديث. . .».

«إنّ أحدكم[1] ليَتكلّم بالكلمة من رضوان الله، ما يظنّ[2] أن تبلغ ما بلغتْ، فيكتب الله له[3] بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإنّ أحدكم لَيتكلّم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له[4] بها سخطه إلى يوم يلقاه».

فكان[5] علقمة يقول[6]: كم من كلام قد منعنيه[7] حديثُ بلال بن الحارث[8]!

وفي جامع الترمذي أيضًا[9] من حديث أنس قال: توفي رجل من

---

(١) س: «إن العبد».

(٢) ز: «لا يظن».

(٣) ز: «فيكتب له».

(٤) ز: «فيكتب له».

(٥) س، ل: «وكان».

(٦) ف: «يقول علقمة». وعلقمة هو ابن وقّاص الليثي، راوي الحديث عن بلال المزني.

(٧) لم ترد «قد» في س، ل.

(٨) قول علقمة هذا لم يرد في جامع الترمذي.

(٩) برقم (٢٣١٦). وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٠٩) وأبو يعلى (٤٠١٧) وأبو نعيم في الحلية (٥/٥٦) وغيرهم من طريق يحيى بن يعلى وعمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش عن أنس فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث غريب» وفي نسخة: «حسن غريب». وقال أبو نعيم: «تفرد به عمر عن أبيه حفص». وقال الذهبي في السير (٦/٢٤٠): «غريب يعدّ في أفراد عمر بن حفص شيخ البخاري». وفيه أيضًا أن الأعمش رأى أنس بن مالك ولم يسمع منه شيئًا.

قلت: وأما طريق يحيى بن يعلى هو الأسلمي فلا يثبت، فإن يحيى هذا قال فيه ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث ليس بالقوي. وبه =

الصحابة، فقال رجل: أبشِرْ بالجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أوَ لا تدري فلعلّه[1] تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه». قال: حديث حسن[2].

وفي لفظ: أنّ غلامًا استشهد يوم أحد، فوُجِد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمّه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئًا لك يا بنيّ، لك الجنة[3]. فقال النبي ﷺ: «وما يدريك، لعلّه كان يتكلّم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضرّه».

وفي الصحيحين[4] من حديث أبي هريرة يرفعه: «من كان يؤمن بالله [١/٨٠] واليوم الآخر فَلْيقل خيرًا أو لِيَصْمُتْ».

وفي لفظ لمسلم[5]: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرًا فليتكلّمْ بخير[6] أو لِيسكتْ».

= ضعفه الهيثمي في المجمع (١٠/٣٠٣).
وروي من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس عند البيهقي في الشعب (١٠٣٤٢) ولا يصح.

(١) ل: «. . . تدري أنه». س: «وما يدريك لعله».
(٢) كذا في جميع النسخ التي بين يديّ. وانظر ما سلف في تخريج الحديث.
(٣) ف: «فقالت: يابني هنيئًا لك الجنة».
(٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٥)؛ ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار. . . (٤٧).
(٥) في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٨).
(٦) ف: «خيرًا».

وذكر الترمذي[1] بإسناد صحيح عنه ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركُه مالا يعنيه».

وعن سفيان بن عبدالله[2] الثقفي قال: قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: «قل: آمنتُ بالله، ثمّ استقِمْ». قلت[3]: يا رسول الله ما أخوَفُ ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا». والحديث صحيح[4].

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ، عن النبي[5] ﷺ قال: «كلام ابن

---

(١) برقم (٢٣١٧). وأخرجه ابن ماجه (٣٩٧٦) وابن حبان (٢٢٩) والقضاعي في مسند الشهاب (١٩٢) وابن عبدالبر في التمهيد (٩/١٩٨ ، ١٩٩) وغيرهم من طريق قرة بن عبدالرحمن المصري عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا.

وخالفه الإمام مالك ومعمر بن راشد ويونس بن يزيد وزياد بن سعد كلهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ مرسلاً. أخرجه الترمذي (٢٣١٨) وعبدالرزاق (١١/٣٠٧) وابن أبي عاصم في الزهد (١٠٣) والقضاعي (١٩٣). قال الترمذي: «هكذا روى غير واحد من أصحاب الزهري عن الزهري عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ نحو حديث مالك مرسلاً، وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة. وعلي بن الحسين لم يدرك علي بن أبي طالب».

ورجح الإرسال الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري والعقيلي والدارقطني وغيرهم. انظر الصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٢/٧٩١).

(٢) ز: «بن عيينة»، خطأ.

(٣) ل: «قال: قلت».

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٣٨) إلى قوله: «ثم استقم».

(٥) س: «عنه». وفي ل،ز: «زوج النبي ﷺ قال».

آدم[1] عليه لا له، إلا أمرٌ بمعروف، أو نهيٌ عن المنكر[2]، أو ذكرُ الله»[3] قال الترمذي: حديث حسن[4].

وفي حديث آخر: إذا أصبح العبد[5] فإنّ الأعضاء كلها تكفّر اللسانَ[6]، تقول: اتّقِ الله فينا[7]، فإنّما نحن بك. فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا[8].

---

(١) ما عدا ز: «كل كلام ابن آدم».

(٢) ماعدا س: «منكر».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٢) وابن ماجه (٣٩٧٤) والبخاري في تاريخه (١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد (١٢٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٤) والنسائي في أماليه (١٥) والحاكم ١/ ٥٥٧(٣٨٩٢) وغيرهم من طريق محمد بن يزيد بن خنيس سمعت سعيد بن حسان المخزومي حدثتني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة فذكرته.

ورواه البخاري في تاريخه (١/ ٢٦١) عن محمد بن يزيد بن خنيس عن سعيد بن حسان عن أم صالح مرسلاً. وفيه أم صالح مجهولة.

والحديث ضعفه الترمذي بقوله: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس». وقال ابن حجر: «حسن غريب» الأمالي المطلقة (١٦٠).

(٤) كذا في جميع النسخ. وفي المتن المطبوع مع تحفة الأحوذي (٧/ ٧٩): «حسن غريب». وذكر الشارح أن في بعض النسخ: «حديث غريب».

(٥) س: «أن العبد إذا أصبح».

(٦) كذا في جميع النسخ، والترمذي. ولعل الصواب: «لِلّسان» كما في المسند (١٨/ ٤٠٢)، والفائق (٣/ ٢٦٨) من التكفير بمعنى الخضوع.

(٧) «فينا» من س.

(٨) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧) وأبو يعلى (٢/رقم ١١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٩) وابن عبدالبر في التمهيد (٢١/ ٤٠) وغيرهم من طرق عن حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري فذكره مرفوعًا.

قلت: كان حماد بن زيد أو أبو الصهباء (فيه جهالة) يضطرب فيه ويشك =

وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسَه في قوله: يوم حارّ، ويوم بارد.

ولقد رُئي بعضُ الأكابر من أهل العلم[1] في النوم، فسئل عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمة قلتُها. قلتُ: ما أحوج الناسَ إلى غيث! فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

وقال بعض الصحابة لخادمه[2] يومًا: هاتِ[3] السفرة نعبَثْ بها. ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلّم بكلمة إلا وأنا أخطِمُها وأزُمُّها، إلا هذه الكلمة خرجت منّي بغير خطام ولا زمام[4]. أو كما قال.

= فيقول: «لا أعلمه إلا رفعه» أو «أحسبه عن النبي ﷺ». هكذا رواه عن حماد بن زيد: عفان بن مسلم وبشر بن السري وعمران بن موسى ومسدد والطيالسي: عند أحمد في المسند (١١٩٠٨) والمروزي في زياداته على الزهد لابن المبارك (١٠١٢) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٢) وابن السنّي (١) والطيالسي في مسنده (٢٣٢٣).

وربما رواه حماد بن زيد موقوفًا. رواه عنه عبدالرحمن بن مهدي وحماد بن أسامة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو كامل الجحدري، عند الترمذي (٢٤٠٧) وأحمد في الزهد (١٠٨٤) وابن عبدالبر في التمهيد (٢٠/ ٤١).

قال الترمذي عندما ساق الموقوف: «وهذا أصح من حديث محمد بن موسى (يعني المرفوع). هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد. وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه».

(١) هو الجنيد. انظر التدوين في أخبار قزوين (١/ ٢٦٤).

(٢) س، ف: «لجارية».

(٣) ماعدا ل: «هاتي».

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٣ (١٧١١٤) وابن المبارك في الزهد (٨٤٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٣٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٧ ـ ٧٨) وغيرهم من طريق =

وأيسرُ[1] حركات الجوارح حركةُ اللسان، وهي أضرُّها على العبد.

واختلف السلف والخلف هل يُكتَبُ جميع ما يلفظ به العبد، أو الخير والشرّ فقط[2]؟ على قولين، أظهرهما الأول[3].

وقال بعض السلف[4]: كلّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه.

وكان الصدّيق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد[5].

والكلام أسيرك، فإذا خرج من فيك صرتَ أسيره. واللَّهُ عند لسان

= ابن المبارك وروح وعيسى بن يونس كلهم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: بلغني أن شدّاد بن أوس كان في سفر فقال لغلامه فذكر نحوه. وزاد روح حديثًا مرفوعًا: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر...».

ورواه سويد بن عبدالعزيز عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي عبيدالله مسلم بن مشكم عن شداد فذكره. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩٣٥) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٦). قلت: وسويد ضعيف، ورواية الجماعة أرجح لكنه منقطع، حسان بن عطية لم يسمع من شداد. وللحديث المرفوع طريق آخر. انظر تحقيق المسند (٢٨/ ٣٥٦).

(١) ف: «أشرّ»، تصحيف.

(٢) «فقط» ساقط من س.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٤)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٩). وانظر مدارج السالكين (١/ ١١٤).

(٤) ف: «وقال السلف». وسمّاه في المدارج (١/ ١١٥): «الحديث المشهور» (ص). لم أقف عليه (ز).

(٥) تقدّم تخريجه ص(٩١).

كلّ قائل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق/ ١٨].

وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن [٨٠/ب] خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت. وقد يكون كلّ منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها. فالساكت عن الحقّ شيطان أخرس عاصٍ لله مُراءٍ مداهنٌ إذا لم يخف على نفسه[1]، والمتكلّم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله. وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين.

وأهل الوسط ـ وهم أهل الصراط المستقيم ـ كفّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعُه في الآخرة. فلا يرى أحدهم أنّه يتكلّم بكلمة تذهب عليه ضائعةً بلا منفعة، فضلاً عن[2] أن تضرّه في آخرته.

وإنّ العبد لياتي يوم القيامة بحسناتٍ أمثالِ الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلَّها؛ ويأتي بسيئات أمثال الجبال[3]، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به.

فصل

وأما الخطوات:، فحفظها[4] بأن لا ينقل قدمه إلا فيما يرجو ثوابه، فإن لم يكن في خُطاه مزيدُ ثواب، فالقعود عنها خير له. ويمكنه أن

---

(١) «عاص لله مراء... نفسه» ساقط من ل.

(٢) «عن» من ف.

(٣) ل: «مثل الجبال».

(٤) ل: «فيحفظها».

يستخرج من كلّ مباح يخطو إليه قربةً ينويها لله، فتقع[1] خطاه قربةً.

ولما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرجل، وعثرة اللسان جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣]، فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله[2]: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر/ ١٩].

---

(١) ل: «فيقطعها».

(٢) «قوله» لم يرد في ف، وفيها: «الخطرات واللحظات». وقد سقط من ل: «والخطرات».

(٣) «مقدمة» ساقط من ف.

(٤) ز: «رسول الله». س: «قال ﷺ».

(٥) تقدم تخريجه (٣٦٥).

(٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ (٦٨٧٨)؛ ومسلم في =